

التبيان في تفسير القرآن

(355) اخبر اﷻ تعالى على وجه الذم للكفار بأنهم يوجهون عبادتهم إلى من هو دون اﷻ من الاصنام والالوثان التي لا تضر ولا تنفع. فان قيل: كيف ذمهم على عبادة الوثن الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لم تجز عبادته؟ ! قلنا: لانه اذا كان من يضر وينفع قد لا يستحق العبادة اذا لم يقدر على اصول النعم، فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا ابعد من ان يستحق العبادة. وقوله " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اﷻ " اخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفار انهم يقولون انا نعبد هذه الاصنام لتشفع لنا عند اﷻ، فتوهموا ان عبادتها اشد في تعظيم اﷻ من قصده تعالى بالعبادة، فحلت من هذه الجهة محل الشافع عند اﷻ. وقال الحسن: شفعاء في صلاح معاشهم في الدنيا، لانهم لا يقرون بالبعث بدلالة قوله " واقسموا باﷻ جهد ايمانهم لا يبعث اﷻ من يموت " والعبادة خضوع بالقلب في اعلى مراتب الخضوع، فكل طاعة فعلت على هذا الوجه فهي عبادة. وانما قال " ويعبدون من دون اﷻ " مع انهم كانوا يشركون في عبادة اﷻ لامرين: احدهما - ان عابد الوثن خاصة قد اشرك في استحقاق العبادة. الثاني ان من عبداﷻ وعبد الوثن فقد عبده من دون اخلاص العبادة اﷻ. وقوله " اتنبئون اﷻ بما لا يعلم " امر منه تعالى لنبيه ان يقول لهم على وجه الالتزام اتخبرون اﷻ بما لا يعلم من حسن عبادة الالوثان وكونها شافعة لان ذلك لو كان صحيحا لكان اﷻ به عالما ولما نفى العلم بذلك نفى المعلوم. وقوله " سبحانه وتعالى عما يشركون " تنزيهه منه تعالى لنفسه، وتنزيهه من ان يعبد معه إله او يتخذ من دونه معبود. قوله تعالى: وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة